رحلة الامير بشير الاولى الى مصر

للشيخ سلُّوم الدحداح

نشرها جناب الاديب الشيخ سليم الدحداح

توفَّقت للحصول على رسالة خطيَّة فيها اخبار رحلة الامير بشير الاولى الى القطر المصري من انشاء المرحوم الشيخ سلُّوم موسى الدحداح وهي بخط يده فاحببتُ ان أتحف بنصها قرَّاء المشرق

والامير بشير المذكور هو الامير بشير الثاني المعروف بالكبير والمالطي ولد ابوهُ قاسم ابن عُمر وحيدًا وتيتَّم من والديهِ قبل السنة الثانية من عمرهِ فاخذهُ عمُّه الامير ملحم حاكم لبنان وبقي عندهُ حتَّى بلوغهِ سنَّ الزواج وتربَّى مع اولادهِ السنَّة وهم محمَّد ويوسف وقاسم وسيد احمد وافندي وحيدر وكانوا جميعهم اصغر منهُ سنًّا . وثانيهم يوسف هو الذي صار حاكمًا على لبنان وقتلهُ الجزَّار ظلمًا سنة ١٧٩٠

وكان الامير قاسم ذكيًّا جدًّا فاحبَّهُ عمُّهُ كأحد اولادهِ واعتمد عليهِ في امور كثيرة فلمَّا توفيَّ الامير ملحم وخانهُ اخواهُ الاميران احمد ومنصور في امارة الجبل سعى الامير منصور باستعطاف الامير قاسم ليجمعهُ من حزبهِ وينفرد بالحكم على لبنان فسلَّمهُ حكومة غزير وازوجهُ احدى بناتهِ فرُزق منها ولدين: حسن سنة ١٧٦٥ وبشير الثاني المالطي سنة ١٧٦٧ وابنةً تزوَّجها بشير الثالث المعروف بابي طحين ثمَّ توفيَّ بعد ان تنصَّر مع عائلتهِ كلِّها . وقد اقترنت ارملتهُ بالامير سيد احمد رابع اولاد الامير ملحم المشار اليهم اعلاهُ

وقد جرى الامير منصور مع الامير يوسف ابن اخيهِ على نفس سياستهِ مع الامير قاسم اذ رآهُ قد تولَّى حكومة جبيل والبترون بمساعي مربيهِ الشيخ سعد الخوري بالاتفاق مع الشيوخ علي جنبلاط ومنصور يوسف الدحداح وسمعان البعلبكي فطرد منها المتاولة وقوي حزبهُ حتَّى خاف الامير منصور ان يزاحمهُ على حكومة دير القمر وجبل الدروز فاستمالهُ الى طرفهِ وقرنهُ باحدى بناتهِ فصار صهرهُ كالامير قاسم . ومنهُ يظهر بطلان ما كتبهُ مؤلِّف « سوريا الشهيد » انَّ « الامير يوسف احسن الى الامير بشير واعتنى به لفقرهِ رغمًا عن بُعد النسب » فاي نسب اقرب من هذا ؟

وقد اضطرَّ الامير بشير الثاني مدَّة حكومتهِ الطويلة على لبنان (١٧٨٨ — ١٨٤٠) ان يحجر الحكم ويفرَّ من الجبل ظافرًا بنفسهِ واشهرُ هذه الفترات سفرهُ الى مصر اوَّلا في البحر سنة ١٧٩٩ ليلتجئ من ظلم الجزَّار الى الصدر الاعظم العثماني يوسف ضياء باشا القادم لمحاربة الحملة الفرنسويَّة هناك ثمَّ ثانيًا في البرّ سنة ١٨٣٢ ليستغيث بمحمَّد علي باشا طالبًا منهُ ان ينال لهُ ولمبدائه باشا العفو من الباب العالي . والرحلة التي نحن بصددها تروي اخبار سفرهِ

الاوّل . وقد شرح الامير حيدر الشهابي في تاريخه الغرر الحسان (ص ٦٩٠ – ٦٩٥) اسباب هذا السفر

امّا الشيخ سلّوم الدحداح فهو ثاني اولاد الشيخ موسى وُلد في عرمون كسروان سنة ١٧٥٠ . وقد اشتهر بدكائه ومعرفته للغة التركية خدم الامير يوسف الشهابي زمناً طويلا ونالهُ بسببه عذابات شتى في عكّا أُشفق فيها مع مديره الشيخ غندور الخوري . ولم يلبث ان استدعاهُ الامير بشير واحبّهُ جدًّا وعيّنهُ مديرًا للاحكام عنده (راجع المشرق ٤ : ١٩٣) فبقي في خدمته الى السنة ١٨١٧ حيث استقال لتقدّمهِ في السنّ فأقام ابنهُ منصور في وظيفته . وتوفّي سنة ١٨٢٠ . وفيهِ قال السيو پوجولا في كتابهِ « الحقيقة عن سوريا » (ص ٥٦) في معرض كلامهِ عن أُسَر المشايخ الموارنة : « كان سلّوم الدحداح ذا عقل ثاقب فليمًا في السياسة وحسنًا لتدبير الامور . قد ادار الاحكام في لبنان في أوّل عهد الامير بشير ولم يزل اسمهُ حيًّا في ذاكرة جميع اهل هذه البلاد » . وقد حضر الشيخ سلّوم المجامع المارونيّة التي عُقدت في عهد البطريرك يوسف اسطفان الاوسطاوي برئاسة البطريرك المذكور وأثناء ذهبه الى الكرسي وبعد رجوعهِ الى منصبهِ البطريركي . وتوقيعهُ في ذيل اعمال كلّ هذه المجامع . امّا المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ فقد وقع غلطٌ في ذكر اسمهِ هناك في الطبعة العربيّة الجديدة (ص ٥٦٢) والصواب « سليمان الدحداح » كما ورد في النسخة اللاتينيّة (ص ٣٤٦) لا « سلّوم » الذي وُلد بعد هذا المجمع باربع عشرة سنة

والرسالة التي ننشرها هنا قد عثرنا عليها عند بعض الاقارب وهي بخط مصنّفها . نروجها عرفها ولغتها فلم نصلح منها الّا اغلاطها الظاهرة . وهي عبارة عن ٣٤ صفحة وفي الصفحة ٢١ سطرًا على ورق صفيق مبقّع بالماء والعتق

تاريخ سفر سعادة الامير بشير

عند الوزير الاعظم يوسف باشا ضيا (١ والى مقام

سرّ عسكر الانكليز الكومندة سميت سنة ١٧٩٩

انّه في ثلثة ايّام خلت من شهر كانون الثاني (١٧٩٩) المصادف الى ٢٨ خلت من شهر رجب (١٢١٣) في سبع ساعات من الليل نهار الجمعة التي هي ليلة السبت

---

١) يوسف باشا ضيا او ضيا يوسف كما يقول الاتراك استدعاهُ السلطان سليم الثالث فخوّلهُ رتبة الصدارة العظمى . ولمّا بلغهُ انتصار الاسطول الانكليزي على الفرنساويين في ابي قير جعلهُ قائد حملة الاتراك لمحاربتهم في مصر مع الانكليز فسار الى القطر المصريّ لكنّ الفرنسويين غلبوهُ وجيشهُ برًّا سنة ١٢١٣ . وكان عند مروره في بلاد الشام لقي من الامير بشير كلّ اكرام ومساعدة على خلاف الجزّار الذي لم يعبأ به

سار سعادة الامير بشير من المنيّ الى البرادي (١ الذي هو قدّام مدينة طرابلس فوجد قبودان مركب الباريك (٢ الذي قد كان مرسلهُ الكومنده (٣ في طلبهِ منتصباً في المحلّ المذكور مع قنصل طرابلس

وفي وصول الامير نزل الى شاطئ البحر ونزل الى المركب وصحبتهُ خدّامهُ الآتي ذكرهم وهم الشيخ نجم العقيلي (٤ ويوسف بو درغم (٥ والياس بو زخم (٦ وفرنسيس نمر وحسين مكنّا (٧ وحسين الداهوك (٨ ومارون البستاني (٩ وضاهر بو شاول وابن عمه جرجس (١٠ وضاهر فرج (١١ وبطرس ديبان (١٢ وفارس

١) المنيّ والبرادي. المنيّ او المنية قرية بقرب طرابلس ويريد بالبرادي الجامع المعروف اليوم بالبدّاوي ولعلّ البرادي تصحيف

٢) القبودان كالقبطان لفظة ايطالية معناها رئيس البحر . مركب الباريك هو المركب المختص بالمرضى والجرحى

٣) هو الاميرال سدني سميث من كبار مشاهير الانكليز ولد في وستمنستر سنة ١٧٦٤ وتوفيّ في باريس سنة ١٨٤٠ قلّدتهُ دولتهُ رتبًا سامية ومناصب شريفة قام بها احسن قيام . وقد امتاز خصوصاً بمحاربتهِ لنابوليون بونابرت في عكّا ثمّ في مصر بحرًا حيث احرق الاسطول الفرنسويّ ثم برًّا في ابي قير فانكسر مع الاتراك . لكنّهُ لم يزل يعارض الفرنسويين الى ان اضطرّهم الى الرجوع الى بلادهم . ونال بعد ذلك من دولتهِ اعظم الامتيازات وتولّى قيادة الاسطول الانكليزيّ في البحر المتوسّط بصفة اميرال . وكان حضور الامير بشير الى مصر قبل واقعة ابي قير البريّة . ويدعوهُ هنا صاحب الرسالة بالسرعسكر اي رئيس العسكر الاعظم وبالكومنده تصحيف كومندان الفرنسويّة وكومودور (Commodore) الانكليزيّة او كومندا (Commenda) الايطاليّة ومعناها رئيس اسطول

٤) من مشايخ الدروز في السمقانيّة وعائلتهُ كانت من مزاويج المشايخ النكديّة وبيت البدراج

٥) من عائلة دروز كانت في دير القمر التي تسكن قرية كفرحيم في المتاصف

٦) لم تزل عائلتهُ في دير القمر

٧) لم نعرف شيئاً عن فرنسيس نمر وحسين مكنّا

٨) من عائلة دروزيّة تستوطن كفرنبرخ من المرقوب وبعقلين من الشوفين

٩) عائلة البستاني المارونيّة اصلها من بقرقاشا في جبّة بشرّاي وهي كثيرة الفروع منتشرة في انحاء لبنان . ومن سلالة مارون المذكور الخوري بطرس البستاني كاتم اسرار ابرشيّة صيدا حالاً

١٠) ضاهر وجرجس من موارنة دير القمر . وضاهر هو جدّ الخواجا ضاهر شاول احد التجّار المعروفين في بيروت

١١) ضاهر فرج من عائلة دروزيّة تسكن عيبه وبموّرته في الشحّار .

١٢) من موارنة دير القمر . ومن نسله اسكندر افندي ديبان الذي كان في عدليّة جبل لبنان

الشويري وقبلان البلبكيّ (١ وغنطوس بو سردي (٢ والعرب صالح (٣ ومرعي بو ملهب (٤ ويوسف الحاصباني (٥ ويوسف عشّون (٦ وحسن حمدان (٧ واحمد بو عكر وعبدالله الهداري وجرجس الموصلي (٨ ومحرّر هذا التاريخ يازجي (٩ سعادته سلّوم الدحداح

وبعد نزول الامير الى المركب الياريك بقي نهار السبت والاحد والاثنين لم تدر المركب على السفر من الريح . ونهار الثلثاء قلع المركب بسلامة الله قاصداً دمياط حيث يعلم انّ سر عسكر الانكليز في المحلّ المذكور . وفي نهاره قابل مركباً بغير بنديره (١٠ فضرب له مدفعاً اوّل وثانياً وثالثاً بكلل . فحالاً نصب بنديرة نمساويّة وحضر القبطان في قارب واخبر القبودان انّ المركب كان في بيروت وانّ عسكر الجزّار متوجّه الى الجبل . واخبر ان غلياطة (١١ سرّ عسكر الانكليز

---

١) لم نعلم شيئاً عن قارس وقبلان

٢) كان من دير القمر ولا تزال عائلتهُ فيها

٣) مسلم سنّي من برج البراجنة قرب بيروت وعائلتهُ لم ترل فيها . اشتهر بعده ابنهُ محمّد العرب الذي اناف عمرهُ على مائة سنة وكان لا يأكل في النهار الّا مرّة واحدة

٤) ماروني من مهربه احدى قرى العرقوب

٥) من عائلة غبريل المعروفة في حاصبيا توطّن ابوهُ دير القمر وانتمى الى طائفة الروم الكاثوليك ولم يزل من نسلهِ في الدير

٦) ماروني من دير القمر . يقال انّ اصل بيت عشّون من بلاد جبيل . قد ولّى الامير بشير بعدئذٍ يوسف هذا على قسم من مقاطعة بيت جنبلاط في اقليم الخرّوب . وقد اشتهر بعدهُ ولداهُ عشّون بك وانطون بك تعاقبا في رئاسة مجلس ادارة لبنان في عهد رستم باشا . ومن اولاد انطون بك سليم بك الذي ترأس ايضاً مجلس الادارة وتوفّي سنة ١٩٠٩ . وقد توفّي آخراً اخوهُ اسكندر بك في القطر المصري بعد خدمتهِ الدولة الشريفيّة في دمشق . وداود بك اخوهما احد اعضاء مجلس ادارة لبنان الحالي

٧) لهُ من مشايخ حمدان الدروز في باتر من الشوف وفي دير كوشه من القاصف

٨) هؤلاء الثلثة الاخرون لم نقف على شيء من امرهم

٩) اليازجي في التركيّة الكاتب والمحرّر

١٠) البنديرة الراية . من الايطاليّة (bandera)

١١) تعريب (galeotta) الطليانيّة وهي سفينة خفيفة

الذي كان مرسلها الى اسلمبول وصلت الى بيروت ثمّ سارت الى الاسكندريّة لعند سر عسكر

ثمّ سافر مركبنا فاصبح نهار الاربعا . قبال تمّ الدامور (١ وكان النوّ غلينة (٢ فبقي مكانهُ الى خمس ساعات من ليلة الخميس فاعتدل الريح . وفي نهاره الظهر وصل المركب الى تجاه الكرمل فتباين مركب متلع من مينا عكّة . وحين نظره القبودان امر حالًا ان يستعدّوا لحربه وكان محمول المركب ثمانية عشر مدفعاً كبارًا ومدفعين وسط . ولم تزل الى ان غاب ذلك المركب في البحر

وصباح الجمعة امر القبودان الى صُلدات (٣ المركب ان يعملوا حوباً لكي يتفرّج الامير وكانوا مائة وخمسين صلدات فعملوا رسم ساعة في البندق ثمّ امر البطجيران (٤ يعملوا حوباً في المدافع فضربوا المدافع . وفي نهاره عند غروب الشمس نظر القبودان في الاسترلاب (٥ ورقّ عدد الاميال التي مشاها المركب لانهم كلّ ساعة يحرّروا عدد الاميال التي يقهسوها بعد القياس في المرسى الرفيع . ثمّ ان القبودان اخبر الامير ان بعد مسافة ستين ميلًا يصل المركب الى بوغاز دمياط

وفي الليل ركّبوا الزوائد (٦ فصار المركب خفيف جدًا فاصبح السبت على رأس برلونس (٧ المجاور ابو قير وبان شجر النخل والموادن (المآذن) ومركبين سفّار فرنساويّة رابطين في المينا وحولهم التقاير (٨ . وحين رأى ذلك القبطان رجع

---

١) اي مصبّ هذا النهر . والتم عند العامّة تصحيف الفم

٢) النلينة عدوّ البحر من اليونانيّة (γαλήνη)

٣) هو في الاصل العسكريّ الاجير تعريب الايطاليّة (soldato)

٤) يريد بالبطجيران البطاريّة اي بالفنيّة من الايطاليّة (batteria)

٥) الاسترلاب آلة لرصد طلوع النجوم وحركات الفلك وعرض البلاد . وقد نشر المشرق وصفهُ سابقًا

٦) يريد ما يزاد على القلوع لتخفيف سيرها

٧) يدعى اليوم رأس البرنس

٨) التقاير او التقاقير سلاسل حديديّة تجعل حول السفن وقايةً لها

المركب نحو دمياط مظنًّا (ظـانًّا) ان سر عسكر هناك . وحين اقبل رأينا مركباً فتاموا له اشارة . فأعطاهم ايضاً اشارة انهُ مركب انكليز واسق ذخيرة وعمّال يفتش على سرّعسكر وانهُ لم وجدهُ في دمياط . ثمَّ ساروا المركبين سويّة نحو الاسكندريّة

ومصباح الاحد اختلف النوْ وفي (الساعة) ٥ من النهار كشفنا على الاسكندريّة فنظرنا القلّع وسناجق الفرنساويّة على اعلى القلّع ورأينا المنارة وثلاثة قلع على حد البحر وهي مدينة بقدر الشام حسنة المنظر ودائرها ابراج . ورأينا في الميناء نحو مائة وخمسين مركباً فرنسوياً منهم ثلاثة مراكب كبار جدًّا . وبقي المركب ذلك النهار تجاه الاسكندريّة وننتظر ان كان يوجد مركب الكومنده في ذلك البحر فلم وجدناه . وعظم النوْ فقال القبودان الى الامير : ربّما الكومنده يوجد في قبرص . فرجعنا وبقي المركب الاثنين والثلاثاء في المواسطة والنوْ عظيم . وقد رمى النوْ مركب الذخيرة على مركبنا فكان الخطر عظيم من تلاطم المراكب لولا زود خبرة القبودان واجتهاد البحريّة . ثمَّ بعد خلوص الخطر هجع الريح . ونهار الاربعاء سار المركب بريح معتدل وقبل العصر كشفنا رأس القطاط وبرّ قبرص (١

ومصباح نهار الخميس كشفنا على اللمسون (Limassol) فارسل القبودان القارب يسأل عن الكومنده من القنصل ورجع بجواب انهُ لا يعلم اين هو . ثمَّ رمى المركب المرسى ونزل سعادة الامير والخدم الى البرّ وارسل القبودان فيسال (٢ وثلثة صُلدات حرّاس قدام الامير . ومصباح الجمعة ارسل القبودان كبير الفيسالية يسأل عن خاطر الامير وان يرجع الى المركب لاجل السفر . فردّ الامير الجواب ان يهل عليهِ الى نهار بكرة السبت لاجل قضاء مصالح الحزم . ثمَّ مصباح السبت حضر الفيسال والفلايك وتوجه الامير الى الميناء فما قدرنا على النزول من كبر البحر وبقى الامير في البرّ الى نهار الاحد الساعة سبعة الى ان نزل الى المركب

وقلع المركب من اللمسون طالب الاسكندريّة وكان الريح طيّب وانمّا كان المركب لا يقدر على سرعة المسير لاجل وفقة مركب الذخيرة . وبقي المركب

---

١) رأس القطاط في جهة ليماسول . دُعي بذلك على ما قيل لانّ ملكةً اتت بقطط كثيرة لمحاربة حيّات ذلك المكان

٢) الفيسال الضابط من الايطاليّة (ufficiale)

الاثنين والثلاثاء الساعة خمسة فرأينا مركباً خارجاً من بحر الاسكندرية وسائر نحو دمياط فقصدهُ مركبنا ظانًا انهُ مركب الكومنده . وحين صار مقابل مركبنا ابتدوا ينشروا بنديرات العلامات . ثمَّ نظروا مركباً ثانياً فصار منهُ حساب ثمَّ تحقَّق انهُ مركب باليك (١ انكليز يقال لهُ تيشيس (٢ وكان محمولهُ اربعة وسبعون مدفعاً وحين اقترب من مركبنا ارسل القبودان فيسالا يسأل قبطان ذلك المركب عن الكومنده . ثمَّ بعد ساعة رجع ذلك الفيسال واخبر الامير ان هذا المركب صادف جنيرالين فرنساوية منهزمين الى بلاد فرنسا فأخذ مركبهم وقبض على الجميع وكانوا نحو مائة نفر وصحبتهم حرمة صاحبة (٣ ابونابارته (بونابرت) وكان موسوق ذلك المركب رزًا وقهوة وسكرًا وعجرة وشالات طرما (٤ فاخذوا الجميع . وفي الليل شغَّل المركب من جنبه بارودًا علامة التقرُّب فهرض اي الزق في الجنب (كذا) . ونظرنا القبطان اسكاً تلك الحرمة من يدها من طاقة الكمرة (٥ ليفرّجها علينا ونظرت اليها وهي لابسة ثوباً ابيض كاونها واعينها صغار

ثمَّ سارت المراكب الى ان قابلنا بوغاز دمياط فلم وجدوا الكومنده لحسن عند قبودان مركب الياريك ان يستأذن قبودان مركب تيشيس ان يسير الى نواحي غزَّة ويافا لعلَّنا نجد الكومنده هناك . وكان اعلمهُ بان سعادة الامير صحبتهُ فحسن ذلك وسلمهُ ذلك الجنرالين الفرنساوية وكان اسمازهم فيلكس ودوه (٦ فصعدوا الى مركبنا وعمل لهم القبودان كلّ اعتبار كأنهم من اعزّ اكابر الانكليز وكانوا مهابين الخلقة . الواحد منهم مضروب بسيف قديمًا في وجههِ وقيل انهُ سر عسكر خيل عند الفرنساويَّة على سبعة الاف في زمان السلطان لويس وحين قامت المشيخة الفرنساويَّة وهو شابّ طويل القامة حسن المنظر لابس ثوباً مخملًا بنفسجيًّا مشغولًا

١) المركب الباليك هو المركب الحربيّ من الايطاليَّة (bellico)
٢) لعلَّه اراد تيتيس (Téthis) احدى إلهات اليونان البحريَّة أطلق اسمها على المركب
٣) اي السيّدة القائمة بخدمة زوجة نابوليون المسمَّاة جوزفين
٤) شالات طرما هي شالات ملوَّنة مختلفة الالوان
٥) الكمره الحجرة الصغيرة من الطاليانيَّة (camera)
٦) لم نقف على اخبار هذين الجنرالين فيلكس ودوه

بسرما (١ ونياشين الشرف على اكتافهِ . وهو الذي كان محارباً عسكر الاسلام في جسر بنات يعقوب حين كانوا الفرنساويّة على مدينة عكّا . وقابلوا الامير ومعهم ثلاثة شاويشيّة على رؤوسهم الخُرَّز البولاد مشغولين بصرما (١ وعليهم ريش اسود منعكف من النقرة الى الجبهة وصحبتهم حزمهم . وحين قابلوا الامير اعجبهم عظم صورتهِ

ثم نهار الجمعة اقترب المركب من العريش وبان العرضي (٢ والخيام في النظّارات . وحين اقترب المركب رأينا مركباً عليهِ صورة كلب فعرف القبودان انهُ مركب انكليز فارسل فيسالاً ليعلم اخبار الكومنده . وبعد ساعة رجع الفيسال يبشر الامير ان هذا اوردي (٣ الوزير الاعظم وانَّ الكومنده عنده في الاوردي ومركبه في يافا . فسار القبودان حالاً الى البرّ ليُعلم الكومنده بقدوم الامير وسار معهُ فرنسيس دميان (٤ الذي اصحبهُ سعادتهُ معهُ من طرابلس كترجمان . ومصباح السبت رجع القبودان وفرنسيس دميان بجواب انَّ سعادة الكومنده يحضر الظهر الى مركب البلوق (٥ لاجل مواجهة الامير . وفي الترم حضر فلوكة بيندير في طلب الامير ان يوافي الكومنده للمركب المذكور . فسار الامير وانا معهُ والبعض من الخدم . وحين وصلت الفلوكه الى المركب لاقى الكومنده الامير الى رأس الدرج وصفّ الصلدات بالسلاح وقوّص المركب ثلاثة عشر مدفعاً . ثمَّ بقي الامير نحو ثلاث ساعات في المفاوضة ورجع الى مركب الباريك

وفي ثاني يوم حضرت الفلوكات وباش ترجمان (٦ بعزم سعادة الامير الى المركب وان باقي الخدم يلاقوهُ الى البرّ . فسار الامير والشيخ نجم والفقير وفرنسيس دميان وظاهر بو شاول صحبة الامير للمركب . وفي وصولنا لاقى الامير كالعادة . وعند العصر ارسل باش ترجمان للعرضي لكي يؤلفوا خياماً لسعادة الامير وان ينزلوا الخدم

---

١) السرما ويكتبها ايضاً صرما هي الاسلاك الذهبيّة في التركيّة

٢) العرضي والعرضة في اصطلاح الاتراك مقام العسكر

٣) الاوردي والاوردو في التركيّة الجيش والمُعسكر

٤) لا نعرف شيئاً عنهُ

٥) البلوك والبلوق بالتركيّة فرقة من العسكر

٦) اي رئيس المترجمين

وسار الترجمان في الغاوكة ومن شدة النوء لم تقدر يصل الى البرّ والخدم طلعوا الى الغالياطه (١ ومن شدّة النوء ما قدروا على النزول الى البرّ فحرّر الكومنده مكتوبا للوزير يوصي باكرامهم . وامر قبودان الغلياطه متى هدي النوء يتزلهم البرّ . وفي السهرة انزلهم وخافوا خوفاً عظيماً ثمّ رجع فرنسيس دميان واخبرنا انّ الجميع سالمين

ومصباح الاثنين قوي النوء جدًا فقال الكومنده للامير : اني خائف ان يقوى النوء ويصير خطر على المركب ومرادنا نتزل في القارب الى البرّ ولو كان خطر . ونزل حالًا الى الكمره يشيل حاله وقد حصل خوف عظيم عند الجميع . ثمّ نظر الى عظم البحر فعدل عن النزول الى البرّ وبقي خاطره متعوباً من نحو الامير لانهُ كان متحرف مزاجهُ من السفر فسقاه ماء زهر وغيره فاستراح نوعاً . ومصباح الثلاثاء تكلم الكومنده مع الامير ان مراده يتزل الى مركب اليساريك ليحرفهُ في طلب ذخيرة الى الوزير وبعد الغداء يتزل للبرّ وقد كان هجع النوء

وكان الوزير امر حين بلغهُ وصول الامير ان يتوجه الى شاطئ البحر ثلاثون رأس خيل بالعُدَد الكاملة وكانوا كلّ يوم يحضرون وينتظرون الى المساء . ومصباح الاربعاء نزل الكومنده والامير الى البرّ فنظرنا الخيل منتظرين كالعادة فركبوا وسرنا وستحق الكومنده قدامنا ودخلنا الاوردي فوجدنا ثلاثة خيام منصوبة بقرب خيام الوزير الاعظم . وبعد نزول الامير بتلك الخيام سار عند الكاخيه فلاقاهُ بالسلام وعمل لهُ مجايره زائدة وقال لهُ : «انت صرت محسوباً من رجال الدولة العليّة» . وبعد ما شرب الامير القهوة توجّه الى عند الدفتردار فساق مع الامير نظير الكاخيه . ثمّ توجّه لعند رئيس افندي ثمّ رجع الى خيامهِ . فحضر سبعة افنديّة وسلام آغاصي (٢ ليزموا الامير لعند صاحب السعادة . وحين وصول الامير اراد ان يقبل اتلك (٣ الوزير فاعطاهُ يدهُ وامرهُ في الجلوس اوّلًا وثانياً وثالثاً . فجلس وبعد ان ترحّب بهِ سألهُ : اتعرف تركي ؟ اجابه : لا . فوقف الجي اغاصي (٤ يترجم . فقال لهُ :

---

١) تعريب (galiotte) مركب حرب صغير

٢) السلام آغاصي عند الاتراك كصاحب التشريفات

٣) الاتك بالتركيّة طرف الثوب

٤) الجي اغاصي . هو رئيس الوفود

انت من اعزّ رجال الدولة ومحسوب حضرة مولانا السلطان وانت ممدوح من سائر اعيان الناس انت صاحب الحميّة والغيرة والحماسة . والدولة العليّة لها نظر عليك فلا تفتكر ولا تتوهم هذا حال الدنيا . وقال لهُ مثلًا بالتركي مضمونه ان الدنيا احيان مرّة واحيان حلوة . وقال له : لا تأخذ على خاطرك . وقال لهُ مثلًا : انّ الذي يصبر على الحصرم يأكلهُ عطلي (١ والذي يصبر على التوت يلبسهُ اطلس (٢ . وقال لهُ : انت كونْ براحتك الدولة تدبّر اشغالك . فقبّل الامير اتكهُ ورجع قامهُ بالجلوس ايضًا وابتدأ يلاطفهُ بالكلام وسألهُ : كم لك يوم نزلت في البحر وفي اي مينا نزلت وانشاء الله لا يكون جعل لك اضامه (٣ . اجاب الامير : النزول من مينا طرابلس والذي يكون عازما على التشرّف بلثم اتك سعادتك لا يبالي بالاخطار . فاعرض الكومنده للوزير اني انا كنت في بلاد سوريًا في حرب الفرنساويّة على عكّا وأعلم كلّ ما توقع واقرّ لسعادتك بكل صدق ان غيرة الامير بشير حفظت بلاد سوريًا لحضرة السلطان سليم . اجابهُ الوزير : بكل صدق اخبت . وقال الكومنده : انّ الامير بشير طرق باب ملك بريطانية . فكان جواب الوزير : انهُ قد صار من اعزّ رجال الدولة . ثمّ طلب الاذن ورجع الى خيامهِ . وفي خروجهِ من الديوان (٤ وقفت الدائرة يتأملوهُ . فافتكر الوزير انّ الدائرة يريدون من الامير بخشيش فصاح الشاويش : لا احد يقبل منهُ شيئاً

وفي وصول الامير الى الخيام رأيتُ الكاخية مقيّدًا على افندي المهردار أن يلاحظ دائمًا الامير بما يلزم لهمن الاكرام وحالاً حضرت الشربات والقهوة وابتدأ يعتذر المهردار عن نسيان الوزير انهُ في سفر وليس عندهُ شيء يليق في مقابلة الامير ويريد منهُ عدم المؤاخذة . والمهردار رجل شاب ذو معرفة وادب من اولاد اسلمبول مربّى في باب همايون واظهر للامير كلّ حب ووداد . وفي اقامة الامير كان يستشيرهُ ويتدبّر

---

١) اي يأكلهُ بطيئاً اي بلذّة
٢) لأنّ منهُ الحرير
٣) الاضامة في اللغة العاميّة الأذى
٤) اي ديوان الوزير

برأيه في مواجهة رجال الدولة . ثمَّ بعدهُ قابل الامير ترجمان الدولة العليَّة جرجي بيك صاحب الفلاخ (١ وطلب منهُ ان يحرّر لهُ التفريق على الدائرة ورجال الدولة . فامر اليازجي ان يرقم لي اساميهم وأفهمني ان حين الامير يقابل احدهم أبقى افرق على موجب القائمة وهي الآن محفوظة عندي . ثمَّ قبل الغروب بساعة ارسلني الامير لعند المهردار ان متى نظر وقتاً مناسباً يطلب اذناً من سعادة كتخدا بيك (٢ على المواجهة . وعند غروب الشمس حضر الافندي يعزم سعادة الامير امند سعادة الكاخية فسار حالاً . وحين قابلهُ وقف وترحب بالامير واكرمهُ ازود من العادة وواعده بكمال مطاوبه وقسم لهُ اوامين (٣ ان ليس عند سعادة الصدر الاعظم في معزّتهِ (٤ وانهُ مشغوفهُ بتمام ولدهِ . ثمَّ بعد مفاوضة طويلة سرّية طلب الاذن وانصرف الى محلّه

وقد كان في تلك الايَّام وقع المراسلة بين الصدر الاعظم وبين الفرنساويَّة بعد فتح قلعة العريش وانهم يسلّموهُ مصر ويرجعوا الى بلادهم عن يد الكومنده ونحرّرت شروط وارسلوا يمضوها من سرّ عسكر الفرنساويَّة كليبر (٥ . وفي يوم تاريخه رجع الجنرال من مصر وهي تمشاة معهُ وانهُ في برهة ثلاثة اشهر يقوموا الفرنساوية من مصر الى الاسكندريَّة . ويتقدَّم لهم مراكب يوسقوهم الى بلادهم

(لها تابع)

---

٤) جرجي بيك يظهر انهُ من امراء بلاد الفلاخ كان في خدمة الدولة العثمانيَّة

٢) الكتخدا والكاخية واحد وهو الوكيل ومدبّر الامور

٣) كانهُ جمع أيمان اي قسَم وحلف

٤) اي ليس لاحدٍ عند الوزير من العزّ والاكرام ما للامير بشير

٥) هو الجنرال كليبر (Kléber) البطل الشهير الذي قتلهُ غدرًا مملوك حلبي اسمهُ سليمان في ١٤ حزيران ١٨٠٠ . ولم يأنف جمال باشا السفّاح من اطراء عملهِ في دمشق في ايام الحرب الاخيرة حيث اطلق اسمهُ على احد شوارعها